دروس في علم الحديث (علم الدراية)

الدرس الأول

أولا: تسمية العلم:

أطلق على هذا العلم عدّة تسميات، من أشهرها تسميته بـ:

- علم الحديث.
- دراية الحديث.
- مصطلح الحديث.
- قواعد الحديث.
- أصول الحديث.

وكلها تعني معنى واحداً، إذ كلّها تعني مجموعة القواعد الكلية أو الأصول العامة التي تنضوي تحت عنوان واحد هو اسم العلم الذي تؤلفه، وهو هنا علم الحديث.

ثانياً: تعريف علم الدراية:

الدراية في اللغة بمعنى العلم والاطلاع، ولعلّها أخص من مطلق العلم، وهي عبارة عن العلم بدقة وإمعان.

وأمّا في الاصطلاح:

١- فقد عرفه الشهيد الثاني (المتوفى سنة ٩٦٦هـ) في كتابه الرعاية (وهو أول كتاب وصل إلينا في هذا العلم) بأنّه: (علم يبحث فيه عن متن الحديث، وطرقه، من صحيحها وسقيمها وعليلها، وما يحتاج إليه ليعرف المقبول منه والمردود).

٢- ولعل ثاني تعريف لهذا العلم وصل إلينا هو تعريف الشيخ البهائي (المتوفى سنة ١٠٣٠ هـ) في كتابه الموسوم بـ (الوجيزة)، وهو قوله: (علم يبحث فيه عن سند الحديث، ومتنه، وكيفية تحمله، وآداب نقله). وقد اعتمد هذين التعريفين كل من تأخر عنهما، فنقلهما بعضهم نقلا فقط، وبعضهم يزيد تعليقة عليهما أو شرحاً لهما، وبعضهم بطرح اشكال عليهما.

وعند التأمّل في هذين التعريفين سنجد أنّ الشهيد الثاني ذيّله بعبارة: (ليعرف المقبول منه والمردود)، ولم يرد ذلك في تعريف الشيخ البهائي، وكذلك فالشيخ البهائي ذيّل تعريفه بعبارة: (وكيفيّة تحمله وآداب نقله)، ولم يرد ذلك في تعريف الشهيد الثاني.

ويمكن القول إنّ الشهيد الثاني قد أضاف غاية العلم إلى التعريف، والغاية ليست من رسم التعريف فلا تعدّ ضرورية، وكذلك فإنّ إضافة الشيخ البهائي يمكن إرجاعها إلى البحث عن السند والمتن، مما يجعل التعريف الأول حاوياً على العناصر الأساسية التي تشكل محور علم الدراية، وإنْ كان الأولى إضافة ما ذكره الشيخ البهائي.

ثالثاً: موضوع علم الدراية:

إنّ موضوع علم الدراية هو السند والمتن، فإنّ موضوع كل علم هو ما يبحث فيه عن عوارضه وحالاته الطارئة عليه، والمبحوث عنه هنا هو عوارض السند والمتن وأوصافهما، ككون الحديث صحيحاً أو حسناً أو موثقاً أو مسنداً أو منقطعاً، فهذه حالات تطرأ على السند، وككون الحديث مضطرباً أو محكماً أو متشابهاً، فهذه حالات تطرأ على المتن.

ومنه يتّضح بُعْد ما ورد في بداية الدراية وغيره، من أن موضوع علم الدراية هو الراوي والمروي، فإنّ الراوي يطلق على آحاد رجال السند وهو موضوع علم الرجال دون الدراية، وبعبارة أخرى فإنّ علم الرجال يبحث عن آحاد رواة السند على وجه التفصيل جرحاً وتعديلاً، ووثاقة وضعفاً، وهذا بخلاف علم الدراية فإنّه يبحث عن الأحوال الطارئة على الحديث باعتبار مجموع السند أو المتن.